

كتبهم ومصنفاتهم ، واتحفونا بمقالاتهم ورسائلهم ، من خاصة وعامة ، مما يدل على كرم سجاياهم ، وطيب اعراقهم وعنصرهم ، ويكشف عن حبيهم لموازرة الابداء سرّاً وجهرآ . ونوجه اطيب ثنائنا واعطره الى اولئك الذين تبرعوا علينا بنضارهم ، مساعديننا في نفقاتنا ومخففين ما اخذنا على نفسنا من العبء الثقيل الباهظ . نعم اننا وان كنا لا نستطيع ان ننشر اسماءهم الا ان خوفاً من ان نمس ارق شواعرهم ، الا انه لا بدّ من ذلك يوماً ريثما تتكشف الاسرار، وتنتهك السرائر، فيعطى كل ذي حق حقه، وكل ذي فضل فضله .

وقد رأى القراء من تزامم اقلام كتاب هذا القطر وغيره ان كثيراً من الابحاث والمطالب تأخرت عن اتمامها ، اولم تبرز الى عالم الوجود ، مع اننا كبرنا حجم المجلة وزدنا صحائفها مؤملين تحقيق بنات الصدور ، لكن لما كان مبدأنا ان نفضل مقالات ارباب الاقلام على نفقات قلنا ، - إظهاراً لما في ابناء العراق من روح التعاون ، وصدق التناصر ، والاخلاص في حب التسابق والتنافس ، في ميدان العلم والادب ، - بقينا في مقرنا الاول كاتنا لم نجبر شوطاً ، الى اننا ابرزنا ما كان في نيتنا من محض الخدمة وكفى بذلك شاهداً على رغبتنا في التقدم والتبسط وحق لنا ان نقول :

ولي في غنى نفسي مراد ومذهب * اذا انصرفت غني وجوه المذاهب .

صفحة من تاريخ خليج فارس

Une page d'histoire du Golfe Persique.

كثر الكلام، في هذه الايام، عن خليج فارس وعن رسوخ قدم الانكليز فيه

وفي تفور اقصيه وادانيه ، فوضعنا هذا المقال، بحجارة لفتضى الحال :

موقع خليج فارس من احسن المواقع للتجارة وان للمحاربة وان لتنازع الامم للبقاء . وكل امه افلحت في تسيير سفنها في مياهه، افلحت ايضاً في رقيها وعمرانها وحضارتها . ولهذا أصبح هذا البحر منذ اقدم الازمان مطمح ابصار الاقوام والاجيال والفريسة التي تتخاصم عليها اقواهن لتزودها وتقر بها عيناً وتسعد بها نفساً . وهذا الامر الذي لم يخف على امه خلت، لم يخف ايضاً على دولة انكلترة التي تربص الفرص لمذ جناح سلطونها على بلاد الله . لانها اذا قدرت ان تصل الى منيتها اوضاعها نهباً، او بدون ان تريق قطرة دم من دماء ابنائها المشرقاء ، بل الذين هم اشرف خلق الله على زعمها .

اجل . ان ملكة الانكليز اليشباع (الزيت) لما اذنت سنة ١٥٩٩ لشركة الهند ان تثنى محلات تجارية في ديار الهند طمح للحال بصر تلك الدولة الى خليج فارس، مع ان قدمها لم تكن تستقر في الهند تمام القرار، ولم تكن يدبى في قبضتها . لكن كيف الوصول اليه والبروفاليون كانوا قد نشروا اجنحة سلطونهم على ذلك الخليج منذ اواخر القرن السادس عشر ، وكانوا قد ظهروا فيه بعد ان طاب لهم المقام في اقطار الهند وجعلوا ساحل بحر فارس كما جعلوا ريف بحر الهند ميداناً ينزله فرسان مفتحيهم، يأخذون من البلاد وانغور والموانى ما يروقهم ، ويضربون صفحاً عمال البحر في عيونهم الطامحة ؟

اما علوشان هذا الخليج وخطورته في ابصار البرتغاليين والانكليز فظاهر، من تسارع شخوص بصرمهم اليه، بعد ثبوت قدمهم في بعض ديار اقطار الهند، لعلمهم يومئذ ان لا قرار لدولة غربية في بلاد الهند ان لم تقبض بيدها مفتاحها الذي هو خليج فارس، وما على سواحه من الثغور المتراسة المتناسقة المتفاوتة الارتفاع ارتفاع درج السلم البعيد المراقى . هذا فضلاً عن ان تجارة الهند لاتنطق ولا تروج ان لم يحافظ على تأمين الطريق التي ترسل فيها اى طريق البحر الفارسى وتسفنها من الغزاة الذين يسيئون فيها كل العيث .

هذا وفي العهد الذي اكتشف رأس الرجاء الصالح كانت تساق بياتات الهند الى ديار الغرب على البحر وعلى بحر المعجم . وهو الطريق التي كانت معروفة منذ اصرق الازمان في القدم . اذ كانت ترد من تلك الربوع الثابتة على السفن الكبار فتشطط سواحل ديار الفرس . ثم ترسو في مانسميه اليوم وسط

العرب ، . — واول الذين عرفوا هذه الطريق الطبيعية التي لحياها الباري هم اول من عرفهم التاريخ باسم الامم الكباره اى اوائك الذين انشأوا نينوى وبابل ثم سلوقية وطيسفون ولما دثرت هاتان الحضرتان جاءك العرب القروم فعرفوا ديار الهند ومجازها وابتنوا البصرة وبغداد . فقامت لهم يومئذ دولة ضخمة فخمة تضارع اعظم دول التاريخ واضخمها بل تصارعها صراع الابطال ، اصغار الرجال . ففي عهد زهو دولة العرب ، كما فى ايام القرون الحاليه ، كنت ترى ثياب الحرير والاستبرق ، القفل والقزقل ، الدارصيني والجوز بوا ، الهال والزعفران ، الصدف والعاج ، الدر والمرجان ، الميمه والصمغ ، المصطكى واللبان ، المر ودهن البان ، البخور والمطور ، وغيرها من حاصلات الهند ومجاورها من الديار والجزر ، من قرييه وناسيه ، من ثغور بلاد السيل الى جزيرة العرب وتبعث كلها بقلايتها لتستجلب بدلها الزجاج والرصاص ، الحديد والنحاس ، الاسرب والقصدير التي كان يؤتى بها من ديار الغرب .

وكانت تمقل هذه السلع واليناطات من بغداد الى قلب المشرق الادنى : الى دمشق والاسكندرية الى موانئ الشام والديار المصرية ، التي كان فيها يومئذ محلات تجارية زاهرة زاهية ، طائفة الى الميزين والفلورنسين ، الى البنادقة والجنوبين . لابل بعد ان عرف طريق افريقيه البحرى ، واكتشاف ممبر او منفذ يودى الى ربوع الهند ماراً براس الرجاء الصالح ، بقى الطريق الاول طريق خليج فارس على علو كعبه طول القرن السادس عشر وبمض القرن السابع عشر ، ولما ذهب شئ من شأنه عند معرفة التجار الطريق الثانى ، دام المسلك الاول نهجا عظيما ، نهج تجارة الهند وديار الروم ، بل لم يزل اب كل نهج تنهجه جميع الدول التي تمد يدها من الديار الآسويه الى الديار الاوربيه وبالعكس . وداوم التجار الايطاليون ولاسيما البنادقة منهم والقطلونيون على اتخاذ اموالهم ومبيعاتهم على القوافل التي تحتاز بوادى الشام ومهارى بين النهرين يحملون من ديار الهند والسند والصين وزابج (جاوة) جميع ما يحتاج اليه القرييون من اثمار وغلات الارجاء الحارة فيصعدونها على متن شط العرب الذي كان يعرف يومئذ عند اجدادنا بدجلة العورآه ، ومنه على ظهر الفراتين ومنها الى ربوع مملكة العرب التي صادت بعد ذلك من ديار سلطنة آل عثمان .

اما سبب بقائه طريق خليج فارس لنقل بياضات الشرق الى اهل الغرب مع وجود غيره فهو لان هذا النهج كثير السهولة يسير الركوب جم المنافع ، وليس فيه من الاحوال ما في اخيه الثاني الحديث السن . هذا فضلا عن ان السفن البحرية لا تحتاج في المهيع الاول الى ان تقنحم العباب وغمراته كما في الحرب الثاني ، بل يكفيها ان تشطط السواحل الواحد بعد الآخر من الهند الى دجلة المورآء ، فتصيب الغرض ، بدون ان تصاب بمرض .

وهذا لا يتضح لك صدقه الا اذا نظرت رطاك الله الى هذا الخليج وانعمت النظر في تهور الطبيعة ايام وكيف ابرزه على مثال غريب عجيب . فان الجوارى المنشآت اذا فادرت ارياف الهند صعدت شواطئ ديار البلوس (بلوچستان) ودخلت بحر عمان ثم قارت شطوط بلاد المعجم الى موضع تكاد فيه بلاد ايران تصافح بلاد العرب وهو الموضع الذي يعرف عندهم باسم « الراس المسنن او المسنم » في مضيق هرمز . وكان العرب لم يحبوا ان يمدوا ايديهم الى الايرانيين لما بين عنصرهم من العداوات القديمة ترى بلاد العرب توغل في الماء كأنها تنفر نور الشادن من وجه المدو فياكل البحر شيئاً من ارضها مع ان بلاد فارس تحاول دائماً التقرب منها متحبة لها وكانها تقول لها : تعالي الى ولا تهربي في فائنا ان تعاوننا نصبح حرراً حريزاً في وجه المدو . اما جزيرة العرب فلا تجاوبها كأنها تعلم انها اذا مدت اليها يد المعونة سحقتها بقبضتها قبضة الحديد . وكان الطبيعة حكمت في الآخر بين البلادين فجمعتهما بعد ان اخذت منهما اليهود وشهدت عليهما الشهود ان لا تمتدى الواحدة على الاخرى وآتذ تصالحنا وتماقدنا على الولاء والصفاء . فالتصفت بلاد ايران ببلاد العربان (١) وعليه يكون

[١] انكر بعضهم فصاحة كلمة عربان جمع عرب . وقد اخطأوا . فقد جاء في شرح المواقف ٢ : ٥٠٩ قوله العربان والبوادي . العربان جمع عرب . والبوادي جمع بادية بمعنى طائفة نازلة بالبادية . اه . وجاء في معجم ياقوت في كلامه عن ذي قار : « ونجمت العربان ، مثل بنو عيس وشيخان » . . . وقال : . . . « ان العربان اجتمعت عند هاني . ابن قبيصة » . . . وقال . . . فتبهم بكر وباقي العربان . . . » اه . وقال في اللسان في مادة بذج : قال الازهرى ، وقد رأيت من العربان من يشق لسان الفصيل الالهج بشناياه فيقطعه وهو الاخزاز عند العرب . اه وقال في تاج المروس (٣ : ١٠٠) : جزيرة بنو نصر كورة بمصر وهي مقر عربان بل . اه . هذا فضلاً عن ان القياس لا يأباه بل يشبهه كما قالوا في خرب خزيان ونحو ذلك كثير .

خليج فارس من الراس المسنن الى مدالت Delta دجلة العورآه اوشط العرب .
فهذان الساعدان ساعدا بحر الهند اى بحر عمان وبحر فارس يوغان
فى الارض على غور ٢٠٥٠٠ كيلومتر ويمسكان البواخر من ان تصل فوهة شط
العرب . واذا وصلت هناك جاءت بواخر او سفن اخرى دون الاولى غوصاً
فى الماء، ونقلت احمالها على دجلة. ويحمل دجلة السفن النهرية الى ابد موطن
من بين النهرين الا انها لاتصعد الآن الى ماورآه بغداد، لان وادى السلام يحتاج
الى ان يكسح عقيقه من الرمال ليكون قابلاً للحمل السفن الى حيث مايرام . اما
الفرات فانه من ابد ان يصاحب اخاه دجلة ويتفق معه ويتحد به بحيث ان الرائي
يظنهما واحداً يخزل عنه ويشتمب وبولى مدبراً هامماً على وجهه فى رمال الجزيرة
ومهرآه الشامية حتى يخال الناظر اليه انه يريد الهرب الى ديار الشام كانه يقول
فى نفسه : بما ان العراقيين لم يقدروا قدرى ولم يعرفوا منزاهى ولا قوائمهائى
ولم يتفهموا بها فانى فار الى حيث اريد، الى صديق لى فى ديار الشام اسمه والمصى،
لنشق كلانا عصا الطاعة على ابناه هذه الديار الذين لا يمتنون بالزراعة ولا بالقلاحة
ولا بالفراسة ولا لاولا ولا وكان ما صمماً نصحه فى نهاية الامر الى الرعوى فارعوى
اذ قال له: يا اخى لاتترك الوطن، ان الوطن عزيز فارجع اليه. وما كاد يسمع هذا
الكلام الا ورجع عن غيه اذ تراه يعود الى نحو اخيه البكر دجلة من قلعة نجم
مقابل منبج (١) الى ان يرجع الى منابعه فى ديار الارمن .

ترى مما تقدم بسطه وشرحه ان افتراق النهرين الواحد عن الآخر هو
لخبر هذه البلاد ليمداها بالماء والتماء. وهذا ما تثبتته الاقدمون من اصرق الازمان
قدماً ولهذا كان للحواضر القديمة: نينوى وبابل والمدائن (اى طيسفون وسلوقية)
ولاسيا كركيش شهرة طائرة فى التاريخ . وقد نوه بمجد هذه الاخيرة وعنرها
وغضارة حضارتها الاخبار القديمة المدونة على صفحات الآجر ومحف المهارق

(١) قد جرينا فى ذكر الفراتين ومتجهيها على خلاف الاصول . فكان يجب
علينا ان نسير فى الكلام عنهما سير سيلهما متحدتين من يتاييهما الى ان اصل مصبهما
لكن قضت الاحوال ان نجرى جرى بحر الهند الذى يدفع مياهه صرافته نحو الخليج
فخالفتنا بذلك الاصول المتعارفة عند اهل الفن . ولنا نسوة بمن تقدمنا من اهل البحث
حينما يتعرضون للكلام عن بحر الهند وعن تغلفه فى الارضين الى الوجه الذى جرينا
عليه والا لا جاز لنا ان نخالف السنن المألوف والنهج المعروف .

اذى لنا ان الفراغة كثيرة ما قارعوا ملوك الاشوريين في كركيش لانهم رأوا حسن موقع تلك المدينة وهي راكبة على صفاق الفرات او منعطفه وقد شارفت من موطنها سقيه وما فيه من الدساكر والرسايق والقرى والفلاييج والمزارع. وفي الازمان التي هي ادنى الينا اى في عهد الرومان كانت انطاكية الراكبة على العاصى في الموطن الذى يدنو ريف بحر الروم من منعرج الفرات قد نالت من بعد الزهو والثروة والابهة ما حق لها ان تسمى بملكثة الشرق. وما عسانى ان اقول عن تلك الحاضرة الزاهرة، بل درة البر الفاخرة، لا بل بئيمة الدهر التادرة، تدسر القاهرة، فلقد كانت انشئت على طريق القوافل، بل في بهرة المراحل، فكانت متابها او تقشاهما كما ارادت نفور الشام. او بالعكس كما ارادت التوجه الى وادى السلام. نهي ايضا نالت من شاخ العز، وباذخ المجد، ما جعلها شامة في جبين الدهر. ولما دالت الدول، وقلب الزمان ظهر المجن تلك الحواضر، والمدن الزواهر، ابقت لنا من ذكرها انقاضاً مبعثرة على اديم الارض، يشهد على مكائنها من العمران والحضارة، في القرون المنطوية، بل على مكانة لم تلبثها المدن الجديدة التي انشئت بعدها بالبصرة الفيحاء، وبغداد الحسنة، وديار بكر القورآ، ودمشق الفيحاء، وحلب الشهباء، وغيرها. — نعم انها ورنث من امهاتهن المنقرضات روح التجارة والمبايعة والمعارضة، لكن هيات ان يصلن ما وصلت اليه تلك الامهات الجليلات. فشتان ماهن، وشتان ما بين الدر والحصى، والسيف والمعصا.

ومما تقدم بسطه يتضح ان اصحاب الهند لا يطمحون الى مد اجنحة نفوذهم وسلطتهم على خليج فارس الا ليجاروا الامم السابقة التي اوغلت في الحضارة، ونالت قصب السبق في التجارة. وهذه الاسباب نفسها هي التي حدثت بالبرتغاليين الى احراز مفتاح الهند حينما دخلوا هذه الديار الاخيرة ولهذا كنت ترى سفنهم تمخر عباب الهند، وتشق مياه بحر عمان، ثم تعوس في اغوار بحر فارس، لتذهب الى البصرة. ولما كانت تفضى اباتها كانت تغادر البصرة. فتذهب الى مسقط، الى قابقوط (كالكنة) الى رامنى اولامرى (سومطرة)، الى جزيرة الوقواق (مدغسكر)، الى جزائر القمر، الى زنجبار، الى سفالة. وهكذا كانت سفنهم تختلف الى بلاد وبلاد وتجمع بين ديار آسية وافريقية وكان كل همهم معاداة خزنة العرب البحرين لانهم كانوا يفترون على تلك الثمور ويملون باصحابهم كما يفعلون باهراب

البوادي. ولهذا كنت ترى بين العرب والبرتوغاليين حرباً عواناً بل طاحنة، طمخت في الاخير ابتداءً يعرب فاوردتهم حياض المنايا، ودامت تلك الحرب طول القرن السادس عشر بدون ان يمكنوهم من الراحة هنيهة. وما زالوا كذلك حتى ركز قائدهم الكبير البوكرك علم دولته البرتوغالية في مستط ومجار وذلك في سنة ١٥١٥ وهي سنة دخول النصراني جزيرة العرب بعد ان طردوا عنها سنة ٦٣٤م على يد عمر بن الخطاب. قال البلاذري (ص ٦٨) وهو يروي حديثاً معتمداً: وان رسول الله صام قال في مرضه لا يبقين دينان في ارض العرب، فلما استخلف عمر بن الخطاب (رضه) اجلى اهل نجران (وكان اغلبهم نصارى وفيهم ايضاً يهود) الى النجرانية (بناحية الكوفة) واشترى عقاراتهم واموالهم. وقال ايضاً: (ص ٦٨) انزات (هذه الآية) في كفار قريش والعرب: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله. وانزات في اهل الكتاب: وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق الى قسوله: صافرون. فكان اول من اعطى الجزية من اهل الكتاب اهل نجران فيما علمنا. وكانوا نصارى. ثم اعطاهم اهل ابله واذرح واهل اذرعات الجزية في غزوة تبوك. اه كلام البلاذري بجرقه. — فترى من هذا ان اول من خالف هذه القاعدة او خرمها هو البوكرك بعد ان مضى ٨٨١ سنة على جزيرة العرب وهي تأتي ان تأوى نصرانياً .

ولما تيسر للبرتوغاليين دخول تلك الديار هان عليهم اخذ غيرها ايضاً فاضبطوا هرمز. ثم احتلوا البحرين وحصنوا القطيف بعد ان ملكوه ومدوا ايديهم الى جميع الثغور التي كانت تخدم امانيتهم ان على ساحل بلاد ايران وان على ريف جزيرة العرب وحصنوها اشد التحصين. وكل من كان يحاول ان يقاومهم كانوا يذوقونه الاسرين او يوردونه حياض المنية وكان الجميع يخافونهم كما يخاف الحشاش والبيات جوارح الطير وعتاقها. وكانت هرمز احصن تلك القلاع وابقاها بوجه العدو ولذا جعلوها ايضاً خزانة اسلحتهم ومستودع تجارتهم وهي كما تعلم مدينة نابتة في قلب جزيرة تعرف باسمها وهي كالشجا في حلق بحر عمان لا يستطيع ان يسبقها ولا ان يبتدئها وهي ايضاً كالشجا في حلق كل داخل بحر عمان انياً من خليج فارس او كل مقتحم بحر فارس قادماً من خليج عمان

فهي اذن جزيرة بحرية حربية تجارية منيعة لا يقدر للعدوان بدنو منها ولا ان يناوئ سكانها . هذا فضلاً عن انها متمنطقة بنطاق من الصخور الشيشية (١) وهي صخور كادآه منيعة تطوف بها المياه من كل جانب وتضحك من السحب فحك مستهزئ لانها تناطحها بروقها وبدقة ما رفع عليها من الابراج والقلاع . اما فنآء المدينة فكان حريزاً منذ يوم ولد . دع عنك ما اقام فيها البرتغاليون من الاسوار الخندقة والمتاريس المبرجة والبواشير (٢) والفصلان (٣) التي جعلتها من احصن المواقع في تلك الإرجاء حتى انهم كانوا فيها في مأمن ولهذا جموا فيها كنوزهم واموالهم وكانت كثيرة لا تحصى .

فهذا كله يريك هرمنز موقفاً دائماً لتوسطه بين ديار العرب ويران والروم والهند وكنت ترى فيها السفن مئات مئات بين واردة وصادرة بين جانيه وضادية وكلها تحمل هدايا الشرق للغرب او تنقل العطف الغرب للشرق . هناك كنت ترى الصينيين والهنود . الايطاليين والبورتغاليين . الايرانيين والعرب . قد امتزجوا امتزاج الراح لمامه القراح . ولهذا كنت ترى البورتغاليين قد شمخوا بانفهم الى السماء وتسممهم يقولون : لو كان العالم حلقة ذهب اكانت هرمنز درته الفريدة !

الراديوم Le Radium

١ تعريفه

الراديوم هو العنصر الغريب الذي احدث انقلاباً في الطبيعيات اعظم من كل ما تقدمه فانه يتولد من عنصر آخر هو الاورانيوم ويولد عنصر الرصاص ويشع من نفسه حرارة وثلاثة انواع من الاشعة ويبعث غازاً يكسب كل ما اتصل به خاصه الانارة .

(١) الشيشية نسبة الى الشيث (وزان زبير) وهو جبل بنواحي حلب يجلب منه الى حلب حمارة سود يحملونها رحى لطحنهم ويدخلونها في ابيتهم تعرف بالشيشية (بازانية Roches basaltiques) قالها باقوت في معجم البلدان وهي التي يسميها بعضهم اليوم بالقوفا قال في محيط المحيط : القوفا : حجر اسود اسفنجي يتولد ببلاد حلب يعمل منه الرحى — (٢) الباشوزة هي ما يسميها اليوم بعض جهلة العربية «التايبه» او «الطايبة» Bastion (٣) الفصلان جمع فصيل وهو حائط قصير دون الحصن او دون سور البلد Courtine مأخوذ من معنى الفصل وهو ولد الناقة اذا فصل عن امه .